

٢ - في مقالين :

هل ماسم لمشكلة الأزهر ، ومستقبل الجامعة الأزهرية

للأستاذ محمود أحمد النعراوى

شيخ معهد دسوق والقازين سابقا

—>>><<<—

بينت في كلمتي السابقة في العدد ٦٧٠ من مجلة الرسالة ما ينجم من اقتراح حضرة الأستاذ مدير المجلة الذى تقدم فيه إلى مشيخة الأزهر ووزارة المعارف بإنهاء التعليم الابتدائى من جميع الماهد الدينية ، وإنهاء سنتين من مدة التعليم بالماهد الثانوية لأزهرية ، وإحلال اللغات الأجنبية وعلوم الرياضة والكيمياء والطبيعة محل علوم اللغة العربية ، ومحل علوم التفسير والحديث والفقه والتوحيد التى يدرسها الطالب الأزهرى فى مدة التعليم بالقسم الابتدائى ، وفى السنتين المطلوب إلناؤها من القسم الثانوى .

وقلت إن هذه السنوات الست المطلوب إسقاطها من زمن تعليم العلوم الدينية والعربية فى الماهد الدينية تعدل نصف المدة التى كانت — إلى زمن بعيد — تؤهل الطالب لنيل شهادة العالمية وأملت إلى ما يكون لهذا الحل المقترح من أثر سبىء فى حياة اللغة العربية : إذ تهين قواها ، ويقف نموها ، ويضعف نتاجها ، ويضؤل محصولها ، وتفسد حاسة الذوق اللغوى فى أهلها . ذلك إلى ما يستتبعه الاقتراح من تصحيح حصص الدين المقررة فى ست سنين وإنهاء حفظ القرآن ، وفقد حفاظه ، فتفلق أبوابه فى وجوه المسلمين ، ويحجب نوره عن قلوب المؤمنين وتنطمس معالم هدايته فلا ترى للمسنهدين ، وتستخفى عن الناس حجة الله على المالين .

ولقد طلبت من الأستاذين الفاضلين أن يبيدا النظر فى ارتأياهم ويراجعا رأى فيما اقترعاه ، لعلهما يجدان لونا آخر من العلاج يكون فيه للأزهر صلاح ورشد ، ونجاة وقصد ، فيوافقا القراء به . بيد أن ما طلعت به الرسالة علينا العدد ٦٧٠ تحت عنوان (إصلاح الأزهر بين دعاة وأبانه) جاء ترجيحا لما ارتأه الأستاذ أولا ، محاولا فيه أن يوضح ما ظن أنه أشكل من جوانب رأيه على

من سماهم معارضين للاقتراح ؛ وأبابة للإصلاح ، مستعينا بسحر فنه ، يبنى منه أن يرسم له تلك الحقائق الملوسة ، والآثار الثابتة المحسوسة ، والنتائج البينة اللازمة للاقتراح ، والتى لا يخطئ فى إدراكها حدس ، ولا ترتاب فى وجودها نفس ، إلا من يرتاب فى وجود الظلام بعد مغيب الشمس — فيصور لك هذه الحقائق ظلا حائلا ، وخيالا مائلا ، ووهما باطلا !

فهذه السنوات الست التى يراد اقتطاعها من المدة المقدرة للتعليم فى الماهد الدينية ليست نصف اثنتى عشرة سنة كانت قبل كافية لنيل الطالب المجد شهادة العالمية ! وليس لها أثر يذكر فى إعداد الطالب وتزويده بزيادة نافع من الشريعة ومن علوم اللغة العربية ؟ ومن ذا يقول إن الفترة نصف الإثنتى عشر ؟ وكيف يزعم زاعم أن هذا الحل الحاسم الذى ارتضاه الأستاذ المقاد يستلزم إلغاء حفظ القرآن ، أو يسلب الطالب الذى يريد أن يلحق بالماهد ست سنوات أخرى كان يقضيها فى حفظ القرآن استعدادا لقبوله بالماهد — كيف ؟ وهذا الحل الحاسم يعطى الطالب فرصة واسعة يستطيع أن يحفظ فيها القرآن ، وأن يحفظ غير القرآن من التورن التى لا بد من حفظها لتحقيق ما لا بد منه من المسائل الدينية واللغوية ؟

ألم يأذن له هذا الحل بثلاث سنين كاملة من خمس السنين التى للقسم الذى كان يدعى أس « القسم الثانوى » ؟ أو ليس فى هذه السنوات الثلاث وفاء بما يلزم له من الوقت للدراسة مواد الثقافة المقررة على أمثاله فى الشعب التوجيهية بمدارس وزارة المعارف حتى يتم للأمة بهذه الدراسة الحصول على حجر الفلاسفة ، فتقبض بكتائبها على حقيقة الحقائق ، ووحددة الوحدات ؛ وحدة الثقافة !

أو ليس فى هذه السنوات الثلاث بعد متمتع لتحصيل الطالب ما تشتد حاجته إليه من علوم اللغة ، وقواعد الدين وفروع الشريعة ليصير أهلا للدراسة العالمية فى كليات الأزهر ، وسيكون أهلا للاجتهاد (حتى لا يظل الأزهر كما هو يملك الكلام ، ويجتر الماضى ، ويقنات الفتات ، ويبطل الاجتهاد ، ويمطل العقل ، ويصم أذنيه عن أصوات العالم وحركات الفلك !) ثم إن لم يكن فى هذه الثلاث السنين يلاغ إلى الزاد ، الذى

مشكلاتها الاجتماعية والمائلية ، بما في الشريعة من سماح وما في الدين من يسر . فإصلاح الأزهر هو الوسيلة إلى تحقيق هذين الغرضين الجليلين ؛ وما اقترحه مدير الرسالة ، وآزره علي الأستاذ العقاد ، هو سبيل الإصلاح المنشود .

١ - وحدة الثقافة :

يرى الأستاذان الجليلان أن وحدة الثقافة ؛ أو وحدة الأمة بتوحيد التعليم — كما جاء في تعبيرهم — تتم وتتحقق إذا درست العلوم والآداب في الأزهر على النحو الذي تدرس عليه وبالقدر الذي تدرس به في المدارس الابتدائية والثانوية التابعة لوزاره المعارف .

فأما وحدة الثقافة فإن الأزهر منذ خمسين سنة — على عهد المغفور له الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده — قد أفتح صدره لاسمونه اليوم علوم الثقافة : فأدخل فيه علم الحساب والجبر ومبادئ الهندسة وعلم الجغرافيا ، والتاريخ ، والميقات ، والهيئة ؛ وعلى الرغم من أن تعلمها كان على سبيل الاختيار فإن الطلاب قد أقبلوا عليها راغبين حتى كادت تتم جميع الطلبة ، ولعل الأستاذ الزيات كان ممن استوفوا حظهم منها ، ثم أنشأ المغفور له الخديو عباس الثاني معهد الإسكندرية ، واختار شيخا له القاضي العادل والمرئي الكبير المغفور له الشيخ محمد شاكر فنهض بالمعهد نهوضا فائقا ، وجعل تعلم هذه العلوم إجباريا ؛ فازدهر معهد الإسكندرية بهذه العلوم إلى جانب علوم الدين واللغة أيما ازدهار . وتطور نظام التعليم في الأزهر : فنذ سنة ١٩١١ صار تعلم هذه العلوم واجبا على جميع الطلاب . ثم توجهت عناية الملك العظيم المغفور له الملك فؤاد طيب الله ثراه ، حيث وجه عنايته — أعذق الله عليه سبحانه رحمة — إلى تنظيم الأزهر وإصلاحه إصلاحا شاملا يعم ناحيته العملية والمادية : فبسطيده بالمطاء الجزل ، وزيد في ميزانية الأزهر زيادة عظيمة ، وأنشأ نظام الكليات وأقسام التخصص ، وعدلت مناهج التعليم تمديلا يلائم الوضع الجديد ، وزيد فيها دراسة علوم الطبيعة والكيمياء وعلم الحياة وتوسع في مقرر الهندسة ، وزيد في مناهج الكليات وأقسام التخصص ما يناسب كلا منها من علوم التربية والفلسفة والتاريخ والاجتماع وأصول القوانين حتى

يوصله إلى مرتبة الاجتهاد ؛ ولم يجد الطالب فيها بديلا من الست سنوات التي سلبها ، وكان يحفظ فيها القرآن قبل التحاقه بالأزهر ومعاهده — فهل تظن أن النظام المقترح يكلفه طائلا أو يجشمه أمرا هائلا ؛ أو أنه يعدل به عن قصد السبيل ويسلك به طريقا جازا ، يظل فيه عمره حائرا ، يهيم في أودية الضلال ، ويحبط بين شحوب الخيال ، لا يجد دليلا ، ولا يهتدى سبيلا ؟ ... كلا !

أليس للأزهر الحق في أن يزيد في زمن الدراسة بالقسم الثانوي منه سنة أو سنتين أو ما شاء أن يزيد من سنين يرى في زيادتها فائدة الطالب ، ونجاح التعليم ، وتقدم العلم طبقا لمتطلبات التطور العلمي والاجتماعي في هذا العصر الجديد .

ثم هو بعد أن بلغ الحلم ، وحصُف عقله ، مستطيع في يسر أن يحفظ القرآن وهو بحال : يحفظ ما يفهم ، ويفهم ما يحفظ . وهل على الأزهر من بأس في أن يقبل هذا الوضع الجديد الذي يمليه منطق الحوادث ، وتقتضيه طبيعة الزمن فيضاف إلى رجليه القديمتين اللتين كان يمشي بهما رجلان أخريان من أرجل الثقافة الموجودة بمصانع وزارة المعارف ليساعد التطور ، ويحارى الزمن . وبذلك تتحقق للأمة وحدتها المفقودة ، وتنفع بيزة الإسلام : مرونته ، ومسايرته للتطور ، ومطاولته للزمان ، وذلك من مزاياء المدودة . ثم لماذا يخاف الأزهر من طغيان المواد المدنية على المواد الدينية في الدرس والتحصيل ما دام الوقت متسما ؛ والأستاذ كفاء ؛ والكتاب مهذبا ؛ والنهاج مستقيا ؛ وتوزيع المواد دقيقا ؛ والإدارة حازمة ؛ والمراقبة يقظي .

وأقول إن هذا الذي يذكره الأستاذ حق ولكن :

كيف السبيل إلى سعاد ودونها قلل الجبال ودونها ختوف والرجل حافية ومالي مركب والكف صفرو الطريق مخوف ؟ وهل توافرت هذه الشروط السبعة في مدارس وزارة المعارف وهي أقوى في النظام وحسن الإدارة وبقظة المراقبة ؟

لا ريب في أن الأستاذ الزيات يرى بما كتب إلى غرض جليل ، يحمي على الدعوة إليه قصد شريف ، ووجدان نبيل . فأما الغرض الذي يرى إليه فهو إصلاح الأزهر ليتحقق بهذا الإصلاح أمران عظيمان : وحدة الأمة بتوحيد الثقافة ، وإنشاء جيل من العلماء القادرين على الاجتهاد ، لتجد الأمة في علمهم المتقن ما يحل

هو مستمد له . وهؤلاء الجماهير من الطلاب الذين هم عناصر الحياة في جسم الأمة هم جبهة الأمة وأعضاؤها العاملون .

فإذا كانت وحدة الأمة متوقفة على وحدة الثقافة ؛ وكانت وحدة الثقافة مستحيلة الوجود مع تعدد هذه النظم وتنوع طريقة الاعداد وتفاوت مراتب الثقافة في هذه المدارس التي تلم أبناء الأمة وتقدم للحياة - فتي وكيف تتحقق وحدة الأمة ؟ ولماذا لا يكون اختلاف هذه الجماهير في التشقة والتثقيف ، والتكوين الصناعي ، والاعداد للحياة الاجتماعية - مؤثراً في وحدة الأمة ؛ ثم يكون تعليم اللغة والدين في الأزهر (ولو أخذ الطالب حظه من الثقافة) خطراً على حياة الأمة ؛ هادماً لوحدها .

لقد كان معروف - وأظن أن الناس ما يرححوا يعرفون - أن وحدة الأمة تتحقق بثلاثة أشياء : وحدة المجلس ، ووحدة اللغة ووحدة الدين ، وأظن أن الأزهر قام بحراسة هذه الوحدات الثلاث أو باثنين منها على الأقل مدة ألف سنة ، وبذلك تكون الأمة مدينة له بحفظ وحدتها على الرغم مما تداولها من تسلط الأجانب عليها وعملهم على تفكيك عراها بما كان جديراً أن يمزق وحدتها ، ويبدد شملها ، فالיום ينق الدخلاء بأن الأزهر خطر على الأمة مفرق لوحدها ! ؟

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبير وحسن فعل كما يجزى سهار
محمود أصم الغمراوي

شيخ مريد دسوق والرفاعي سابقا

(الرسالة) : نمتنا من العودة إلى مناقشة الأستاذ الفاضل هذا الأسلوب التهمكي الذي يترأى التعريض من خلاله ، وهذا اللاحق في مسائل تصل بالزمن والمنهاج بعد أن تركنا ذلك للتطبيق وهو من اختصاص الأزهر وحده ، ثم هذه المقدمات التي سيكرهها الأستاذ على أن تقول : ليس في الامكان أبدع مما كان ! فإن تنفيذها يدعو إلى الكلام في أشياء ليس من البر أن نهتك عنها سائر الماضي لدمرنا إلى سخرية الحاضر . على أن ذلك لن يمتنا من نصر ما بقى من كلام الأستاذ .

نشر بإعلان ٥٢٧٩ بالعدد ٦٧١ فقرة د - له مؤلفات وأبحاث علمية مبتكرة وخبرة علمية ممتازة ، والصواب وخبرة علمية ممتازة .

اللغات الأجنبية . وقد كان هذا النظام كفيلاً بأن يرقى بالأزهر ويوجد منه علماء إخصائيين لو أنه وجد من يرعاه وينفذه .

واقدر اضطر الأزهر أن يقبل طائفاً أو كارها أن يمدل النظام الأساسي للتعليم فيه تمديلاً هداً من قوته وأوهن من علمه وأضعف من قوة الطالب الأزهرى في العلوم الدينية ونقص في حظه منها . فقد كان الطالب الأزهرى لا يستحق أن يمنح شهادة العالمية حتى يؤدي امتحاناً في علوم الأصول والفقه والبلاغة والتفسير والحديث والتوحيد والمنطق ... ؛ وحتى يجوز هذا الامتحان مجلياً ! واليوم تدرس هذه العلوم موزعة مجاميع في شعب ثلاث ! قبل الأزهر أن تشعب رأسه إلى ثلاث شعب حرصاً على تنقيف طلابه ليظل باب الأمل في الحياة العملية مفتوحاً أمامهم - ثم يدهشك أن تسمع ذلك الصوت البغيض ينبعث من أبواب السوء في وزارة المعارف يصك سمع الزمان بكلمة (توحيد تخريج المعلم) (وحدة الثقافة) (الطالب الأزهرى تنقصه الثقافة) (الأزهر في حاجة إلى الإصلاح) فإذا يبنون من تلك الصيحة ؟ وما ذا يخفون في هذا التعير ؟

إن كانوا يزعمون أن الغرض هو توحيد الثقافة وصولاً إلى وحدة الأمة ، فالأمر مشكل . فإنا نجد الوزارة ترى عدة مدارس في ظلال نظم متعددة ، وتدير عدة مجاميع من المدارس مختلفة الناية متنوعة الأساليب ، متفاوتة الرتب والاعداد ؛ فهناك التعليم الأولي ، والأزاي ، والتعليم الابتدائي والثانوي والمالي ؛ والتعليم الصناعي ، والتعليم الزراعي ، ومنه التعليم المتوسط والتعليم العالي ، والتعليم العالي أنواع كثيرة في كليات الآداب ، والحقوق ، والطب والهندسة ، والزراعة ، ومعهد التربية وكلية العلوم .

وإعداد الطالب لنوع من هذه غير إعداده لغيره من سائر الأنواع : فإعداد الطالب في التعليم الأولي والإزاي غير إعداده في التعليم الابتدائي والثانوي . وثقافة هذا غير ثقافة ذاك ؛ وثقافة طلاب المدارس الصناعية والزراعية المتوسطة ليست كثافة طلاب المدارس المالية ولا هي كثافة طلاب المدارس الثانوية ، ومناهج التعليم في كل من هذه الأصناف والأنواع غير مناهج الصنف الآخر منها ضرورة السير بالطالب منذ الخطوة الأولى من عمره التعليمي في الطريق الذي هو مستمد لسلوكه في الحياة وإعدادها لما